تعدد المفاهيم الدلالية للأدوات في ضوء السياق البلاغي
متساوي الأساليب أنموذجاً

د. هيفاء بنت عثمان عبّاس فدا

الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنّقد
كلّيّة اللّغة العربيّة – جامعة أمّ القرى بمكة المكرمة
المملكة العربية السعودية

المقدمة

يتناول هذا البحث **تعدد المفاهيم الدلالية للأدوات في ضوء السياق البلاغي**، وأثر السياق في تنوعها، وقد جاءت فكرة البحث تأكيدًا على أن الأساليب المتساوية في الألفاظ والمكونات فيما عدا الأداة ــ في أسلوبين متشابهين، لابد أن يصحبها تلون في المعاني، ولا يكون هذا التنوُّع من باب التفنن اللفظي، كما قال بذلك بعض العلماء.

ولا أريد أن أنطلق في بداية البحث من أن مقولة النحاة بنيابة الحروف بعضها عن بعض تحتاج إلى مراجعة وضبط وتقييد ــ مع تقديري الشديد لما قالوه ــ ولا سيما إذا كان هذا التناوب بين الحروف قد وقع في نصوص قرآنية، إذ إن تنوع الأداة في أسلوب عن أداة أخرى في أسلوب يشبهه لا يمكن إلا أن يكون مسوقًا لغرض وغاية مختلفة عن الأسلوب الأول؛ كالتنوُّع بين الواو والفاء في قوله تعالى:" ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا" وقوله تعالى:" ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا" وبين "لا" و"لن" في قوله تعالى: "وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا" وقوله تعالى:" وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا"، وغير ذلك من الأدوات المتنوعة التي جاءت في هذا البحث، ضمن نصوص نحوية متساوية.

وتنوع الأداة في الموضع الواحد يترتب عليه تنوعات في المعاني بعضها قد يكون ملموسًا في الفهم والإدراك، وبعضها الآخر يحتاج إلى مراجعة السياقات التي ورد فيها كلا الأسلوبين حتى يتم الكشف عن معناه ومراد القائل، ولذلك فإن لكل نوع من المعنى نوعًا من اللفظ هو به أخص وأولى، وضروبًا في العبارة هو

بتأديته أقوم(١).

وأكبر دليل ــ من وجهة نظري ــ على أن مقولة تناوب الحروف تحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر ــ وهذا بالطبع لا يعيب الفكر اللغوي ــ أنه إذا وضع حرف مكان حرف في أسلوب مساوٍ له في الألفاظ والمكونات النحوية؛ فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يؤدي ــ على وجه الدقة ــ ما كان يؤديه الأول من وظائف دلالية، إذ لا بد من حدوث تغيير في المعاني؛ بل يمكن أن يكون هناك نفور في الكلام إذا كان هذا التنوُّع قائمًا على ضرب من العشوائية.

يقول الإمام الباقلاني:" فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع، وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى؛ بل تتمكن فيه، وتضرب بجرانها، وتراها في مظانها، وتجدها فيه غير منازعة إلى أوطانها، وتجد الأخرى لو وضعت موضعها ــ وهذا محل الاستشهاد ــ في محل نفار، ومرمى شراد، ونابية عن استقرار(٢)"، فالألفاظ تكون أدلة على المعاني المرادة(٣)، كما يقول ابن جني.

وتهتم هذه الدراسة بتسليط الضوء على أثر السياق المقامي والمقالي في تنوع الأدوات، لما له من أهمية كبرى في تحليل هذه النصوص المتساوية على أساس سياقي، ولا يخفى على أحد أن فهم النصوص فهمًا جيدًا يكون مرهونًا بسياقاتها المختلفة التي ترد فيها.

وقبل الشروع في هذا البحث أود أن أوضح ب المقصود: بمتساوي الأساليب فقد يظن أن المقصود به الآيات المتشابهة لفظيًّا، وهذا صحيح من وجه واحد، وذلك

---

١ انظر: الرسالة الشافية في الإعجاز ضمن كتاب دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط١٩٩٢،٣م، ص٥٧٥

٢ إعجاز القرآن، الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٣، ص ١٨٤.

٣ انظر: الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ٣/٢٧١.

لأن المقصود بمتساوي الأساليب في هذا البحث هو التساوي بين الجملتين اللتين تنوعت فيهما الأداة من حيث المكونات النحوية من مبتدأ وخبر، وفعل وفاعل ومفعول – مثلاً؛ بل إن هناك تساويًا أيضًا في المكونات اللفظية من حيث المفردات المعجمية ، وقد قدمت لهذه الدراسة بتمهيد يسير تناولت فيه معرفة علمائنا العرب بالسياق، وتعريفًا له، وأهميته في تحليل النصوص اللغوية، ثم ذكرت بعد ذلك: تنوع الأدوات في الأساليب المتساوية، وجاء في أربعة مباحث:

المبحث الأول: تناولت التنوُّع بين الأدوات المفردة، وجاء تحته :

أولا : التنوُّع بين الفاء والواو.

ثانيًا : التنوُّع بين الباء واللام.

المبحث الثاني : تناولت التنوُّع بين الأدوات الثنائية، وفيه :

ـ التنوُّع بين "لا" و"لن".

المبحث الثالث: تناولت التنوُّع بين الأدوات الثلاثية، وجاء تحته:

ـ التنوُّع بين " إلى" و"على".

المبحث الرابع : وتناولت التنوُّع بين الأدوات المختلفة، وذُكر فيه :

أولا: التنوُّع بين أنْ واللام.

ثانيًا : التنوُّع بين " إلى" واللام.

ثالثًا: التنوُّع بين "ثم" والفاء.

وبعد ذلك جاءت الخاتمة تتضمن أهم نتائج البحث، وبعدها قائمة بالمراجع والمصادر، ثم فهرس عام.

تمهيد

لقد فطن علماؤنا العرب القدامى إلى أهمية السياق ودلالاته في تحديد المعاني، واعتبروه "من أعظم القرائن التي تدل على مراد المتكلم، فهو يرشد إلى تبيين المجمل، وإثبات المعنى المراد دون غيره، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وكل قول أو تفسير لا يؤيده السياق؛ فلا عبرة به" (٤)، فهم كثيرًا ما يؤكدون عليه في كلامهم ، يقول بشر بن المعتمر:" والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"(٥) ، ويترتب على هذا أن يكون لكل " معنًى لفظ يختص به ولا يشركه فيه غيره، فتنفصل المعاني بالألفاظ فلا تلتبس" (٦) .

وقد اعتبر الدكتور تمام حسان مقولة: " لكل مقام مقال" قفزة من قفزات الفكر العربي(٧)، لما لها من أهمية في إدراك العلماء القدامى لفكرة السياق .

والسياق له تعريفات عديدة ، وسوف نقتصر على بعضها ــ وهو مفصّل في الكتب التي تحمل في عنواناتها نفس الاسم ــ وقد عرّف الرازيُّ السياق بأنه" كل

---

٤ انظر: منهج السياق في فهم النص، د. عبد الرحمن بودرع، كتاب الأمة، العدد١١١، المحرم، ١٤٢٧هـ، ط١، قطر، ص٤٠.

٥ البيان والتبيين، الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،مصر ، ط٢،٠ ١٩٦٠، ١/ ١٣٦.

٦ شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب، ط١، ١٩٧٣، ص ٩٦.

٧ اللغة العربية معناها ومبناها، د/ تمام حسان، عالم الكتب، ط٤، ١٤٢٥ هـ، ٣٣٧، والنحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د/ محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ط٢، ص ٩٨.

ما يكتنف اللفظ الذي نريد فهمه من أدلة أخرى" (٨)، وهذه الأدلة الأخرى التي ذكرها الرازي تشمل ما يسبق أو يلحق به ــ أي السياق اللغوي ــ من كلام يمكن أن يضيء دلالة القدر منه موضع التحليل أو يجعل منها وجهًا استدلاليًّا"(٩)، وعرفه السوسوه بأنه "جميع القرائن اللفظية والحالية التي تسهم في فهم اللفظ أو النص"(١٠)، فلا بد إذًا من مراعاة القرائن اللفظية والحالية، وهذا ما أكده رأى أولمان حيث يرى أنه إذا كان معنى السياق هو النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم؛ فإنه ينبغي أن يشمل كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها أهميتها البالغة في هذا الشأن(١١)، ولذلك من المهم الاحتفاء بالمنهج السياقي عند تحليل النصوص؛لأنه " يقدم ــ ببعديه اللغوي الداخلي ، والبعد الخارجي ــ بين يدي فهم النص الشرعي نسقًا من العناصر التي تقوي طريق فهمه وتفسيره، والاستنباط منه؛ لأن العلم بخلفيات النصوص، وبالأسباب التي تكمن وراء نزولها أو ورودها يورث العلم بالمسببات، وينفي الاحتمالات والظنون غير المرادة" (١٢).

كما أن" دراسة التراكيب اللغوية بمعزل عن محيطها لا يحقق أهداف التعبير والتواصل وغاياتهما، ولا يفرق الأداءات المختلفة عن بعضها؛ لأن اللغة

---

٨ المعالم في أصول الفقه، الرازي، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار عالم المعرفة، القاهرة، ١٤١٤هـ، ص١٥٠، وانظر: السياق وأثره في دلالة الألفاظ دراسة أصولية ، د/ عبد المجيد محمد السوسوه، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، عدد ٧٤رمضان، ١٤٢٩هـ، سبتمبر ٢٠٠٨م،ص ٢٣.

٩ انظر: دلالة السياق، د/ ردة الله بن ردة الطلحي، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ، ط١، ص٥١.

١٠ السياق وأثره في دلالة الألفاظ دراسة أصولية ، ص١٩.

١١ انظر: دور الكلمة في اللغة، تأليف ستيفن أولمان، ترجمه وقد له وعلق عليه د/ كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ١٩٨٧م، ص ٦٢.

١٢ انظر: منهج السياق في فهم النص، ص٢٦.

واقع اجتماعي حيّ، وأبنيتها تحدد أولاً على أساس أنها علاقات وأنظمة داخلية نتأثر بما يكتنفها من مؤثرات خارجية" (١٣)، وتجاهل السياق والنظر إلى التراكيب اللغوية من مستوى السطح فقط يؤدي إلى الوقوع في اللبس والإبهام، يقول السوسوه:" الغفلة عن النظر في السياق وأخذ الألفاظ منفردة عن قرائنها السياقية يؤدي إلى الخطأ في فهم الخطاب كله، أو بعض منه" (١٤).

وعند دراسة التنوُّع في الأدوات من حيث تنوع الأساليب وتعدد مكوناتها الدلالية في المعنى، نجد أن " السياق اللغوي والبلاغي من العلامات المائزة التي ترفع إشكال اللبس" (١٥)، وتزيل الغموض والإبهام ووضع كل أسلوب في مكانه اللائق به، وقد اختار البحث التطبيق على الأدوات التي وردت في الأساليب المتشابهة؛ لأنها تعد" من الأمور الدقيقة المغزى، اللطيفة المأخذ، ولقد استعملها القرآن الكريم في أخص مواضعها، فلم توجد في مكان إلا ولها معنى طريف، ولم تحذف منه إلا وفي حذفها غرض مقصود وهدف مراد"(١٦)، فكثيرة هي الأساليب المتشابهة ــ في القرآن الكريم ــ التي حملت في تراكيبها اختلافاً في الأدوات؛ ووجدت مع هذا الشبه بعض الفوارق التي تميز بها، ويجب علينا أن نسلم في البداية بأن لحظ الفوارق الدقيقة في تنوع هذه الأدوات من أسلوب إلى أسلوب آخر يشبه له لا يمكن تفسيره إلا بالرجوع إلى السياق اللغوي، فكل مساق للألفاظ يجرّ ضربًا من المعنى بجزئياته وتفاصيله (١٧).

---

١٣ دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية، التراكيب النحوية والتداولية، علم النحو وعلم المعاني، د/ عبد الحميد السيد، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٤هـ، ص١٤٠.

١٤ السياق وأثره في دلالة الألفاظ دراسة أصولية ،ص٢٤.

١٥ منهج السياق في فهم النص، ص٢٤.

١٦ من أسرار التعبير في القرآن، د/ عبد الفتاح لاشين، شركة مكتبات عكاظ، السعودية، ط١،١٤٠٣هـ، ص٦٨.

١٧ انظر: منهج السياق في فهم النص، ص٢٧، ٢٨.

تعدد المفاهيم الدلالية للأدوات في متساوي الأساليب

سيتناول البحث بالتطبيق هنا على الآيات المتساوية في مكوناتها النحوية ، واختلفت فيه الأداة ، محاولاً الوقف على أسباب هذا الاختلاف التي أدت إلى تنوع الأداة بالرغم من تشابه الآيتين في المعنى والبناء النحوي، وانعكاس هذا التنوُّع على المعنى في الآيتين .

المبحث الأول: التنوُّع التركيبي بين الأدوات المفردة:

أولًا: التنوُّع بين الفاء والواو:

١ــ قال تعالى: ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾ التوبة : ٨٥. وقوله تعالى : ﴿ فلا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ التوبة : ٥٥ .

وردت هاتان الآيتان بألفاظ متغايرة شملت تنوع حرف العطف، " فلا تعجبك" و" ولا تعجبك" وإعادة حرف النفي مع الآية الثانية" ولا أولادهم" دون الآية الأولى، والحذف في قوله" أن يعذبهم بها في الدنيا" ، وفي الآية الثانية " في الحياة الدنيا".

والذي يهم البحث هنا هو التنوُّع في حرفي العطف في بداية الآيتين، وكما هو معلوم أن الواو تفيد مطلق العطف، والفاء تفيده أيضًا بزيادة التعقيب والمباشرة.

والناظر إلى التركيبين من حيث البناء اللغوي لا يجد فرقًا في المكونات النحوية "ولا تعجبك أموالهم" و" فلا تعجبك أموالهم"، فكلتاهما بدأت بحرف عطف تعقبه أداة نهي ، ثم الفعل المضارع المتصل به المفعول ثم الفاعل، والألفاظ هي

نفسها في الموضعين باستثناء الواو والفاء، فما الداعي إلى هذه المزواجة بين الحرفين؟ وهل كان من الممكن أن يؤدي حرف واحد المعنى المطلوب في الآيتين؟

لا شك أن الإجابة سوف تكون بالنفي ، وذلك لأن السياق المصاحب لكل آية هو الذي أدى إلى اختلاف الحرفين، وكل سياق مناسب لحرفه، أو لنقل إن كل حرف مناسب للسياق الذي ورد فيه.

فسياق الفاء هنا جاء بعد قوله تعالى" وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ " أي : أنها جاءت بعد سياق يدل على إعجابهم بالمال والأولاد، وكان عدم الإنفاق فيه هو الظاهر من غيره، حتى لو أنهم أنفقوا، فإنهم ينفقون كراهية وليس اختيارًا، وقد كرهوا هذا الإنفاق لكونهم معجبين بكثرة تلك الأموال؛ فنهى اللهُ رسولَه خاصةً عن الإعجاب بهم بفاء التعقيب(١٨)، وبقية المسلمين عن الإعجاب المتعقب له(١٩)، فالفاء للاستئناف أو التفريع(٢٠).

ومن حيث البناء نجد أن الفاء تتضمن معنى الجزاء، والفعل الذي قبلها مستقبل يتضمن معنى الشرط، وهو قوله: "وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ" أي إن يكن منهم ذلك ؛ فما ذكر

---

١٨ البحر المحيط ، ٤٧٨/٥، وتفسير السراج المنير، الخطيب الشربيني، خرج أحاديثه وعلق عليه أحمد عزو الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ٤٣٦/٢، وتفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ١٦/ ١٥٨.

١٩ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ضبطه وصححه علي عبدالباري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م ٥/ ٣٤٣.

٢٠ التحرير والتنوير، ٢٨٦/١٠.

جزاؤهم، فكان الفاء هنا أحسن موقعًا من الواو([٢١]).

أما الآية الأخرى" وَلَا تُعۡجِبۡكَ" فجاء العطف بالواو لمناسبة عطف نهي على نهي قبله في قوله:" ولا تصل.... ولا تقم .... ولا تعجبك،فناسب ذلك الواو([٢٢]).

ومن حيث البناء نجد أن هذه الآية" ولا تعجبك" لا تعلق لها بما قبلها؛ فجاء بحرف الواو التي يقتضي سياقها العطف([٢٣]).

وشبيه بهذا التوجيه السابق للتنوع بين الواو والفاء :

٢ـــ قولـــه تعـــالى: "أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ ٱلَّذِينَ من قَبۡلِهِمۡۚ " الروم:٩.

وقولـــه تعـــالى: " أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ" يوسف: ١٠٩.

فالعطف بالواو جاء في الآية موافقًا لما قبلها وما بعدها، فقبلها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم ﴾ وبعدها قوله تعالى: ﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ وكلاهمـــا

---

٢١ أسرار التكرار في القرآن الكريم، تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ط٣، ١٣٩٨هـــ، ٩٧.

٢٢ انظر: البحر، ٥/ ٤٧٨، واللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق وتعليق عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٨م، ١٦٥/١٠، وروح المعاني ، ٣٤٣/٥.

٢٣ انظر: تفسير الرازي، ١٥٨/١٦، والسراج المنير، ٤٣٦/٢، وتفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن، ضبطه وصححه عبدالسلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م، ١٦٩/٣.

بالواو، فجاء العطف بالواو في قوله: "أَوَلَمْ يَسِيرُواْ" أيضًا لموافقتها ما قبلها وما بعدها.

والأمر مختلف في سورة يوسف بالعطف بالفاء، فإنها تدل على الاتصال ، والعلاقة بين قوله ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم ﴾: وقوله: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ لكي ينظروا حال من كذّبهم وما نزل بهم من العذاب(٢٤)، فهناك إذًا التئام بين ما قبل الفاء وما بعدها، فناسب المقام العطف بها.

وهناك ملحظ بلاغي آخر لاختيار الفاء هنا يعود إلى رنين الفاء وشدتها في النطق ؛ لكونها تخرج بشكل انفراجي ، وهذه الشدة فيها جاءت متناسقة مع شدة لفظ العاقبة في الآية ، وذلك لأن السياق سياق تهديد ووعيد.

٣ــ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾ هود: ٥٨ وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴾ هود: ٩٤.، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ ﴾ هود : ٦٦، وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾هود : ٦٦.

وقوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴾ هود: ٨٢.

٢٤ انظر: أسرار التكرار، ١١٣.

جاءت الآيات الأربعة السابقة في قصص أربعة من الأنبياء: هود، وصالح، ولوط، وشعيب، وقد تشابهت السياقات الظاهرية التي وردت فيها هذه الآيات حيث إنها تنص عل نجاة قوم وهلاك آخرين.

وقد ورد السياق في شعيب وهود بالواو" ولما جاء أمرنا"، وفي قصة صالح ولوط بالفاء" فلما جاء أمرنا" فتوظيف حرف العطف في الآيات مختلف جدًّا من تركيب إلى آخر، ويعتمد هذا الاختلاف على اختلاف السياق نفسه.

وقد قدّم الزمخشري تفسيرًا لهذا الاختلاف قائلاً:" قد وقعت الوسطيان ــ يقصد" فلما جاء" ــ بعد ذكر الوعد، وذلك قوله: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ هود: ٨١ ، و ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ هود: ٦٥ فجيء بالفاء الذي هو للتسبب، كما تقول: وعدته فلما جاء الميعاد؛ كان كيت وكيت"(٢٥) وهذا التحليل" من غرر كلام الزمخشري" كما ذكر السمين الحلبي(٢٦).

ويوضح ابن عاشور كلام الزمخشري السابق ناظرًا أيضًا إلى السياق في الآيات معللاً استخدام الفاء في قصتي صالح ولوط ؛ لأن فيها تعيينًا لأَجَلِ العذاب، ففي قصة صالح قوله:" فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ "، وقوله مهددًا:" تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ"، وفي قصة لوط قوله تعالى:" إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ" فكان الموقع للفاء لتفريع ما حل بهم على الوعيد به"(٢٧)،

---

٢٥ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٢/٢٩٠.

٢٦ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق علي معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ٤/١٢٧.

٢٧ انظر: التحرير والتنوير ،١٢/١٥٣، ١٥٤.

فقد وقع العذاب عقيب الوعيد مباشرة، فكانت الفاء التي تدل على التعجيل والتعقيب هي المناسبة هنا([٢٨]).

أما التعبير بالواو في موضعي:" وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا " فلأنهما لم يقعا" بتلك المثابة، وإنما وقعتا مبتدأتين؛ فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة"([٢٩])، وإن كان العذاب في قصة صالح ولوط قد وقع عقيب الوعيد؛ فإنه في قصة هود وشعيب تأخر عن وقت الوعيد، فقد ورد في قصة هود قوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ هود: ٥٧ وفي قصة شعيب:" سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ..... وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ " هود: ٩٣، فالتخويف في هذا المقام قارنه التسويف فجاء بالواو المهملة"([٣٠]). فالواضح في قوله:"وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ "، وقوله:" وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ " أنه ليس في الآيتين ما يدل على تعيين موعد للعذاب، وإنما أتى الوعيد فيهما مجملاً، فناسب السياق مجيء الواو هنا بخلاف سياق الفاء.

٤ــ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ البقرة: ٣٥.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ الأعراف: ١٩.

---

٢٨ الكشاف، ٢/٢٩٠.

٢٩ انظر: الكشاف، ٢/٢٩٠.

٣٠ التحرير والتنوير،١٢/١٥٤.

عطف الفعل " كلا" في كلتا الآيتين بحرف عطف مغاير ، حيث ورد في البقرة " وكلا" بالواو، وفي الأعراف"فكلا" بالفاء بالرغم من تشابه الأسلوبين، فما السبب في التنوُّع بين الحرفين؟

يقول الرازي معللاً هذا التنوُّع في الموضعين:" كل فعل عطف عليه شيء وكان الفعل بمنزلة الشرط، وذلك الشيء بمنزلة الجزاء؛ عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو؛ كقوله تعالى:﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ ...﴾ البقرة: ٥٨، فعطف "كلوا" على " ادخلوا" بالفاء لما كان وجود الأكل منها متعلقًا بدخولها؛ فكأنه قال: إن أدخلتموها أكلتم منها، فالدخول موصل إلى الأكل، والأكل متعلق وجوده بوجوده، يبيّن ذلك قوله تعالى في مثل هذه الآية من سورة الأعراف: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ ...﴾ الأعراف: ١٦١، فعطف" كلوا" على قوله"اسكنوا" بالواو دون الفاء؛ لأن اسكنوا من السكنى، وهي المقام مع طول اللبث، والأكل لا يختص بوجوده... فلما لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجزاء بالشرط؛ وجب العطف بالواو دون الفاء ([31])، ويمكن توضيح كلام الرازي السابق بالشكل التالي:

٣١ انظر: تفسير الرازي ، ٤/٣، وتفسير الألوسي، ٢٦٨/١.

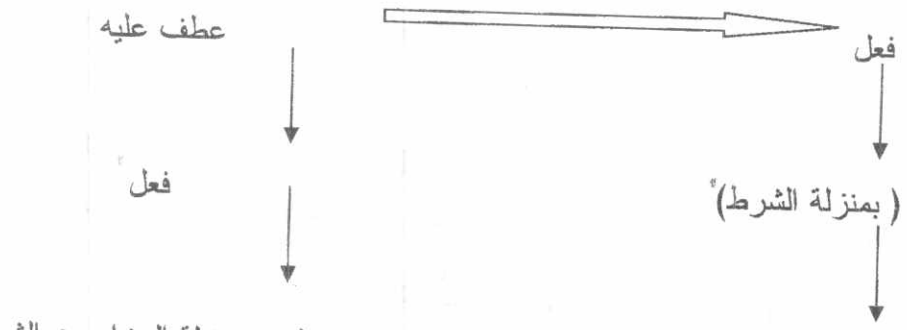

فالسياق هنا هو الذي يفسِّر تنوع الحرفين، ومناسبة كل حرف لسياقه، وإذا ما أمكن اعتبار السياق السابق بالسياق النحوي، فهناك سياقان آخران وهما : زمن نزول الآية، والسياق المعجمي أيضًا، فقوله:" ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا " إنما ورد بعد أن كان آدم في الجنة، فكان المراد منه اللبث والاستقرار، والأكل لا يتعلق هنا بالسكن ــ كما مر ــ ولذلك ورد بلفظ الواو، وفي سورة الأعــراف ورد هذا الأمر قبل دخو ل آدم الجنة فكان المراد منه دخول الجنة، والأكل متعلق بــه، فلهذا ورد بلفظ الفاء ([٣٢])، فمعنى السكن هنا هو الذي يفسر الحرف الذي بعــده ــ إضافة إلى وقت نزول الآية ــ فقد يكون السكن بمعنى: إلزام المكان الذي أنت فيه، وقد يكون أمرًا باتخاذه سكنًا وأنت لم تسكنه بَعْدُ، وعلى ذلك فقد خوطب آدم مرتين بالسكن؛ إحداهما: كانت قبل دخول الجنة وهي التي في الأعراف، والأخرى: كانت

٣٢ انظر: اللباب ، ٥٢٢/١.

وهو في الجنة وهي التي في البقرة؛ فالسكن" يقال لمن دخل مكانًا ويراد به: الزم المكان الذي دخلته، ولا تنتقل عنه، ويقال أيضًا لمن لم يدخله: اسكن هذا المكان يعني: ادخله واسكنه، كما تقول لمن تعرض عليه دارًا ينزلها سكنى، فتقول له: اسكن هذه الدار، واصنع ما شئت من الصناعات، معناه: ادخلها ساكنًا لها فافعل فيها كذا وكذا ، وعلى هذا الوجه قوله تعالى في سورة الأعراف؛ لأن السكنى بمعنى الدخول(٣٣).

ويؤيد هذا المعنى أن آدم كان خارج الجنة: قول الله تعالى لإبليس ــ وكان في الجنة ــ : ﴿ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ﴾ الأعراف: ١٨، وخاطب آدم ــ في نفس الوقت ــ فقال: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا ﴾ الأعراف: ١٩، أي : اتخذاها لأنفسكما مسكنًا وكلا من حيث شئتما، والفاء هنا ــ بلا شك ــ أولى من الواو؛ لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمانًا ممتدًّا ، ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه؛ بل يقع الأكل عقيبه(٣٤).

أما الذي في البقرة فهو " سكون بمعنى الإقامة فلم يصح إلا بالواو؛ لأن المعنى: اجمعا بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها، ولو كان الفاء مكان الواو؛ لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة؛ لأن الفاء للتعقيب والترتيب (٣٥).

---

٣٣ انظر: السابق، ٥٥١/١.

٣٤ انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٣هـ، ١٤١/١.

٣٥ السابق، ١٤٠/١، ١٤١.

وقد أجاب بعضهم عن هذا التنوُّع بين الحروف والتخالف بين الأشياء المتشابهة ــ في هذه الآية ــ بأن القصد منه تلوين "المعاني المعادة حتى لا تخلو إعادتها عن تجدد معنى وتغاير أسلوب"([٣٦]).

ولا تتفق الباحثة مع الرأي السابق فيما ذهب إليه؛ لأن التنوُّع بين الأدوات وغيرها في التراكيب المتشابهة لا يقصد به تلوين المعاني فقط وتغاير الأساليب؛ بل هناك معنى مصاحب لكل تغيير يتم فيه التحويل، وكما سبق أن ذكرنا: أن كل مساق للألفاظ يجرّ ضربًا من المعنى بجزئياته وتفاصيله.

ثانيا :التنوُّع بين الباء واللام:

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾الأعراف: ١٢٣

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾الشعراء: ٤٩

الفعل "آمن" من الأفعال التي تتعدى بحرفي جر: الباء أو اللام، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ التوبة: ٦١.

فعدى الأول بالباء ، والثاني باللام، وهما زائدان عند ابن قتيبة ([٣٧])، وذهب المبرد إلى أن اللام هنا" لام إضافة والفعل معها يجري مجرى المصدر"([٣٨])، وقد تكون اللام نائبة مقام الباء على سبيل تضمين الحرف معنى أخيه ([٣٩])، وكما يقال:

---

٣٦ التحرير والتنوير ،١١٨/١.

٣٧ البحر المحيط، في التفسير، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢م، ٤٤٩/٥.

٣٨ المقتضب لأبي العباس المبرد، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ٣٧/٢.

٣٩ أمالي المرتضي (غرر الفوائد ودرر القلائد) للشريف المرتضى علي بن الحسين العلوي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٣هـ ــ ١٩٥٤م، ٢٢٠/٢.

أخذتك لجرمك أي بجرمك([٤٠])، وأصل الفعل آمن في الآيتين" أن يتعدى بنفسه؛ لأن آمنه بمعنى صدقه، ولكنه كاد ألا يستعمل في معنى التصديق إلا بأحد هذين الحرفين([٤١]).

وكل واحد من هذين الحرفين له دلالة لا يؤديها غيره، والسياق البلاغي هو المحك في الآيتين، فالفعل آمن إذا استعمل لغير الله تعالى؛ فهذا بقصد" توضيع موسى عليه الصلاة والسلام، والهزء به؛ لأنه لم يكن من التعذيب في شيء، وإما لإرادة أن إيمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان؛ بل كان عن خوف من قِبَل موسى عليه الصلاة والسلام، حيث رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على أنفسهم"([٤٢])، وعلى هذا المعنى يكون" آمنتم له" بمعنى "جعلتم له الذي أراد"([٤٣])، ويظهر في اللام ــ كذلك ــ معنى الإنكار الشديد لمخاطَبي فرعون بأنهم تجاوزوه وفعلوا ما لم يؤمروا به"([٤٤])، وعدّ ذلك منهم" استسلامًا له قبل إذنه"([٤٥]).

---

٤٠ انظر: السابق والصفحة.

٤١ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤م، ٢٦٣/٦.

٤٢ تفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٩/٦.

٤٣ معاني القرآن للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور، ١٩٥٥،١، ٣٩١/١.

٤٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق د/عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ١٠٣/١٤، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، وضع حواشيه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م، ٢٦٧/٥.

٤٥ انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط١٦، ٢٥٩٦/٥.

أما الفعل مع الباء فيكون معناه صدقتموه(٤٦)، وهناك فرق بين الإيمان والتصديق، وإن كانت المعاجم ذكرت أن الإيمان لغة التصديق(٤٧)، فالفرق بينهما يبقى واضحًا ــ كما يرى شيخ الإسلام ــ فلفظ " الإيمان ليس مرادفًا للفظ التصديق في المعنى، فإن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة : صدقت، كما يقال : كذبت، وأمّا لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب"(٤٨)،فالذي أدى إلى تنوع حرفي الجر هنا هو السياق المعجمي لكلمة " آمن" فهي تصلح أن تأتي للتصديق والانقياد، وهما معنيان يحتاج إليهما، والباء تحقق معنى التصديق، واللام تحقق معنى الانقياد والإذعان (٤٩).

وهنا سياق آخر قد أدى إلى تنوع الحرفين، وهو سياق مرجعية الضمائر في الآيتين، فالهاء في " آمنتم به" غير الهاء التي في "آمنتم له"، وكل منهما تعود إلى غير ما تعود عليه الأخرى، فالأولى تعود على رب العالمين لأنه تعالى حكي عنهم قولهم:" آمنا برب العالمين" ، وهذا هو الإيمان الذي دعا إليه موسى عليه السلام(٥٠)، ويحتمل أيضًا أن يكون عائدًا على موسى(٥١)، فلا مانع لغة أن يقال :

---

٤٦ انظر: معاني القرآن للفراء، ٣٩١/١.

٤٧ انظر: تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م، (أمن)، ٥١٣/١٥، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق د/ إميل يعقوب، ود/ محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، (أمن)، ٤٧٨/٥.

٤٨ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٩١/٧.

٤٩) انظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، الغرناطي ، وضع حواشيه عبد الغني الفاسي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٢٠.

٥٠) درة التنزيل ، ٩٨.

٥١) البحر المحيط، ١٤٠/٥، والتحرير والتنوير، ٥٣/٩.

آمنتم بالرسول أي أظهرتم تصديقه([٥٢]) فالإيمان هنا معناه التصديق، ولكن الضمير في الثانية "له" لا يعود إلا على موسى بدليل ما جاء بعد ذلك من قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ الشعراء: ٤٩، ولا خلاف أن هذا الضمير يعود على موسى فقط ([٥٣])

المبحث الثاني : التنوُّع التركيبي بين الأدوات الثنائية:

التنوُّع بين لا ولن:

قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة: ٩٥

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الجمعة: ٧

عبّر القرآن الكريم في سورة البقرة عن انتفاء تمني اليهود للموت بأداة النفي " لن " ، وعبّر عن نفس المعنى في سورة الجمعة بأداة النفي " لا" .

و"لا" و"لن" يشتركان في أنهما وضعا للنفي، لكن "لن" بإجماع النحاة لنفي المستقبل ([٥٤])، والمختلف فيه بين النحاة نوعية هذا النفي أللتأكيد أم التأبيد، وقد ذكر أبو حيان أنها تكون للمبالغة في النفي ([٥٥])، وذلك " لأنها تنفي ما هو مستقبل بالأداة بخلاف "لا" فإنها تنفي المراد به الاستقبال مما لا أداة فيه تخلصه له، ولأن " لا " قد

---

٥٢) درة التنزيل، ٩٨.

٥٣) السابق نفسه.

٥٤) انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث ، القاهرة، القسم الأول، الجزء الثاني، ٦٣٤.

٥٥ البحر المحيط ، ٤٨٩/٩.

ينفى بها الحال قليلاً" (٥٦)، وذهب ابن هشام إلى أنها حرف نصب ونفي واستقبال(٥٧).

ولن فرع عن "لا" وذلك لأن "لا" تجحد الماضي والمستقبل والدائم والأسماء بخلاف" لن" فإنها تكون لجحد المستقبل وحده (٥٨)، ويرى الكفوي أن " لن" تكون لنفي ما قرب وعدم امتداد النفي ، وعلل ذلك بعلة جيدة وهي أن الألفاظ مشاكلة للمعاني، فـ "لا" جزؤها ألف يمكن امتداد الصوت بها بخلاف "لن" فطابق كل لفظ معناه، فحيث لم يرد النفي مطلقًا أتى بلن، وحيث أريد النفي على الإطلاق أتى بلا(٥٩).

وقد اضطرب رأي الزمخشري على وجهين، إذ ذكر أنها تفيد تأكيد النفي(٦٠)، وتفيد التأبيد (٦١)، وقد اعتُرض عليه في إفادتها التأبيد بأنه دعوى لا دليل عليها، إذ لو كانت تفيد التأبيد لم يقيد منفيها باليوم في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ مريم٢٦، ولكان ذكر الأبد في قوله تعالى:

---

٥٦ السابق، ١/١٧٤.

٥٧ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م، ١/٥٤٣.

٥٨ انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (لن)، ٩/٣٣٦.

٥٩ انظر: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه د/عدنان درويش، ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢م، ٤/١٦١.

٦٠ الكشاف ٢/١١٣، و المفصّل في علم العربية، للزمخشري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ٣٠٧.

٦١ انظر: شرح الأنموذج في النحو للعلامة الزمخشري، بشرح الأردبيلي، تحقيق د/ حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٠.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ تكرارًا والأصل عدمه(٦٢)، ومذهب التأبيد من جملة آراء المعتزلة في نفي رؤية الله تعالى أبدًا(٦٣).

وإذا عدنا إلى الآيتين موضعي حديثينا وإلى كشاف الزمخشري نجد أنه لا يفرق بينهما؛لأن" كل واحدة منهما نفي للمستقبل، إلا أن في «لن» تأكيداً وتشديداً ليس في «لا» فأتى مرّة بلفظ التأكيد:"وَلَن يَتَمَنَّوْهُ "ومرّة بغير لفظه:"وَلاَ يَتَمَنَّونَهُ"(٦٤).

وقد اعتبر أبو حيان وابن سيدة هذا الكلام من الزمخشري رجوعًا " عن مذهبه في أن "لن" تقتضي النفي على التأبيد إلى مذهب الجماعة في أنها لا تقتضيه"(٦٥).

والذي يرجحه البحث في أن اختلاف الأداتين يرجع إلى تعدد سياقهما، فسياق سورة البقرة أتى مجسدًا رغبة اليهود في تملكهم الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس (٦٦). وهذه الرغبة ــ أو الادعاء ــ منهم هو غاية كل إنسان ومقصوده، المؤمن والكافر على السواء، فهي غاية عظيمة يطمع الجميع في الدخول تحت مظلتها، بخلاف سياق سورة الجمعة، فزعمهم ليس الحصول على

---

٦٢ انظر: مغني اللبيب، ٥٤٣/١ ، وتاج العروس، (لن)، ٣٣٦/٩، والكليات، ١٦١/٤.

٦٣ انظر: الإبانة عن أصول الديانة، الأشعري، مكتبة المعارف، المغرب، الرباط، المكتب الثقافي السعودي، ١٤١٩هـ، ص١٧، وتاج العروس، ٣٣٧/٩.

٦٤ انظر: الكشاف، ١٠٣/٤، وتفسير النسفي المسمى: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ٦٨٣/٢، والدر المصون، ٣١٧/٦.

٦٥ انظر: البحر المحيط ، ١٧٣/١٠، وتفسير اللباب، ٧٧/١٩.

٦٦ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

الدار الآخرة، وإنما الزعم هنا الولاية لله تعالى من دون الناس([٦٧])، والولاية – وإن كانت لله تعالى – ليست مطلبًا لكل أحد بخلاف الملكية للدار الآخرة، فانطلاقًا من هذا السياق المتعدد؛ تعددت حروف النفي بدلالة كل واحدة منهما، فدلت "لن" على المبالغة في النفي لعظم المطلوب، بخلاف "لا" التي أدت أيضًا معنى النفي ؛ لكن ليس بالدلالات التي تحملتها لن.

ويمكن الإشارة إلى أمر آخر مهم، وهو سياق لن الذي وضعت فيه ،إذ هو لنفي خلوص الدار الآخرة لهم من دون الناس، ومن المعلوم أن الدار الآخرة لا تكون إلا مستقبلاً، فأتى بالأداة المناسبة لهذا السياق وهو نفي المستقبل، بخلاف الولاية التي يمكن أن تكون محلّ ادعاء في الماضي والحال والمستقبل، فأتى بالأداة التي وضعت للنفي المطلق.

وإذا أخذنا في الاعتبار أن "لا" تكون لنفي الحال، و"لن" لنفي المستقبل ، يمكن لنا تصور بُعد آخر، وهو الإشعار بأنهم يكرهون الموت كراهة شديدة في الحال" ولا يتمنونه" ويكرهونه في المستقبل" ولن يتمنوه" كراهة شديدة، ومن أجل كراهتهم الشديدة للموت؛ نجد القرآن الكريم قد حكى عنهم – في معرض السخرية – حرصهم الشديد على الحياة ([٦٨]) – أيًّا كانت هذه الحياة المنكرة، ومن أجل ذلك – أيضًا – فهم دائمًا يحاولون الهروب من شبح الموت، وهو واقع بهم لا محالة ([٦٩]).

---

٦٧ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ الجمعة: ٦

٦٨ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ البقرة: ٩٦

٦٩ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ الجمعة: ٨

المبحث الثالث: التنوُّع التركيبي بين الأدوات الثلاثية:

التنوُّع بين إلى وعلى:

١ـــ قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾ البقرة: ١٣٦

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾ آل عمران: ٨٤

ورد الفعل " أنزل" في الآيتين متعديًا بحرفي جر مختلفين، فقد جاء في البقرة متعديًا بإلى، وفي آل عمران متعديًا بعلى، بالرغم من وجود تساوٍ في الآيتين، إلا في اختلاف الحرفين.

والمتأمل في السياقين يجد أنهما مختلفان، ولذلك وجب أن يتغير الحرف مع كل معنى، فالإنزال في طبيعته: " نقل الشيء من أعلى إلى أسفل"(٧٠)، وعلى هذا فإن معنى الفوقية والاستعلاء يناسبه حرف الجر "على" ، وإذا كانت هذه الفوقية لا بد أن تكون لها نهاية طولية تصل إليه، وأقصد بها هنا الغاية من الإرسال ؛ فإن هذا المعنى يناسبه "إلى"، وقد نصّ على المعنى السابق ابن عاشور فقال:" وعدّى فعل أنزل هنا بحرف على باعتبار أن الإنزال يقتضي علوًّا فوصول الشيء المنزل وصول استعلاء، فهو يتعدى بحرف على"(٧١)، وهناك فرق بين السياقين، فاختيار "على" في موضع آل عمران" لأن ذلك لما كان خطابًا للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان واصلاً إليه من الأعلى بلا واسطة بشرية؛ كان لفظ "على" المختص بالإيصال

٧٠ كتاب الكليات للكفوي، ٣٢٨/١.

٧١ انظر: التحرير والتنوير ،٣٠٢/٣.

أولى"([٧٢]).

فاختيار على ــ إذًا ــ لخصوصية الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم، وفقدان العنصر البشري.

أما في البقرة فالخطاب فيها" للأمة وقد وصل إليهم بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكان لفظ " إلى" المختص بالإيصال أولى"([٧٣]).

وقد رد الزمخشري هذه التفرقة بين الرسول والمؤمنين في الخطابين السابقين، واعتبر ذلك تعسفًا، وذكر أن معنى الاستعلاء والانتهاء موجود في الآيتين معًا،؛ لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل، فجاء تارة بأحد المعنيين ، وأخرى بالآخر([٧٤])،وذكر ابن عطية أن إنزال الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم يُعد إنزالاً على أمته([٧٥])، و"صح نسبة إنزاله إليهم؛ لأنهم فيه هم المخاطبون بتكاليفه من الأمر والنهي وغير ذلك"([٧٦])، أو يكون هذا الإنزال إلى الأمة من باب المجاز([٧٧]).

والذي يمكن أن يشير إليه تعدد دلالة اختلاف الحرفين أن اختيار "على" جاءت إشارة إلى ضرورة تبليغ المُنَزَّل عليه غيرَه من الناس، وهذا يفسر العدول في بين "قل" فعل الأمر بخطابه للمفرد، وجواب الأمر " آمنا" بالجمع، و" علينا " بالجمع أيضًا، ولو كان الأمر للنبي على جهة الخصوص لناسبه: قل آمنت بالله وما

---

٧٢ اللباب، ٣٦٩/٥.

٧٣ السابق والصفحة.

٧٤ انظر: الكشاف،٤٤٢/١

٧٥ انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، المغرب، ١٩٩٢م، ١٥٠/٣.

٧٦ البحر المحيط، ٦٤٨/١.

٧٧ انظر الكليات للكفوي، ٣٢٩/١.

أنزل إليّ، ولذلك السبب فإن الدلالة التي في " إلى" تدل على ما خُصّ به في نفسه من نهاية الإنزال إليه([٧٨])، ولهذا السبب أيضًا يفسر كثرة ما جاء به القرآن الكريم من خطاب في جهة النبي صلى الله عليه وسلم بعلى، وكثرة ما جاء من خطاب في جهة الأمة متعديًا بإلى([٧٩]).

المبحث الرابع: التنوُّع التركيبي بين الأدوات المختلفة:

أولا: التنوُّع بين أنْ واللام:

قال تعالى:﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ التوبة: ٥٥

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾ التوبة: ٨٥

ورد التركيب في الآية الأولى " ليعذبهم" باللام، وفي الثانية" أن يعذبهم" بأن، وقد ذكر أبو حيان أن الإتيان باللام هنا من أجل الإشعار بالتعليل، والمعنى على ذلك: إنما يريد الله ابتلاءهم بالأموال والأولاد لتعذيبهم ([٨٠])، أو هي لام العاقبة([٨١])، ويحتمل أن تكون هذه اللام زائدة([٨٢])، أو تكون للتوكيد([٨٣])؛ لأن فعل

---

٧٨ انظر: الدر المصون،١٥٩/٢.

٧٩ انظر: الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٧ ،٣٤٣/٣.

٨٠ البحر المحيط،٤٧٨/٥.

٨١ أحكام القرآن للجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٢١/٣.

٨٢ الدر المصون، ٤٨٩/٣، والبحر المحيط،٤٧٨/٥.

٨٣ اللباب، ٥٠٦/٩.

الإرادة متعدٍ بنفسه، وأتي بأن لأن مصب الإرادة هو التعذيب، أي: إنما يريد الله تعذيبهم([٨٤])،وذكر بعضهم أن اللام بمعنى أن ــ ويكون هذا من باب تناوب الأدوات ــ وفائدة اللام:" التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال"([٨٥]).

والسياق هنا هو الذي يفرق بين استخدام الأداتين، ويرجع إلى أمرين:

الأول: اختلاف الإرادة في الآيتين، ففي الآية الأولى تتوجه الإرادة إلى الاختبار والابتلاء ؛ إذا فهم حذف مفعول الإرادة فيها ــ على ما قدره أبو حيان ــ إنما يريد الله اختبارهم بالأموال والأولاد وأحبوهما حبًّا شديدًا ،فهم من الذين لا ينفقون المال لا طوعًا ولا كرهًا، وحتى لو أنفقوا فلن يقبل منهم نتيجة لهذا الحب الشديد للمال والكفر بالله وبرسوله([٨٦])، فكانت هذه الأموال والأنفس ــ بما فيها أولادهم ــ محلاً للاختبار لهم، ولما فشلوا في الابتلاء استحقوا العذاب المكرر لهم؛ فجاء باللام المشعرة بهذا التعليل.

الثاني: الإرادة في الآية الأخرى " أن يعذبهم" متعلق الإرادة ليس الاختبار، وإنما التعذيب، فكأن الله ــ عز وجل ــ يريد تعذيبهم، وذلك لأن سياق الآية ورد عندما كرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ([٨٧])؛ فوقع إرادة العذاب عليهم مباشرة.

---

٨٤ البحر المحيط، ٤٧٨/٥.

٨٥ انظر: تفسير الرازي، ١٥٨/١٦، وتفسير الخازن،١٦٩/٣، وتفسير السراج المنير، ٤٣٦/٢.

٨٦ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ التوبة: ٥٣ - ٥٤

٨٧ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٨١

وفي الآية ملمح آخر يتعلق بتكرار "لا" في الآية الأولى ، وعدم تكرارها في الثانية ، فهذا التكرار يعود إلى أن دخول حرف "لا" فيه زيادة تأكيد ودلالة على أنهم كانوا معجبين بكثرة الأموال والأولاد ، وكان إعجابهم بأولادهم أكثر ، وفي إسقاط الحرف في الآية الثانية دليل على عدم التفاوت بين الأمرين عندهم [٨٨]

ثانيا: التنوُّع بين إلى واللام:

١ــ قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ الأعراف: ٥٧

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ فاطر: ٩

أغلب الذي ورد حول هاتين الآيتين في أن أصل التركيب أن يكون بـإلى، ولذلك انصبت جهود المفسرين والنحاة حول التركيب المعدول إليه الذي ورد باللام؛ فهي بمعنى إلى لدلالتها على انتهاء الغاية ([٨٩])، وعند الزمخشري هي لام

---

٨٨ أنظر: تفسير الخازن ، ٣٩٣/٢.

٨٩ الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق طه محسن، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ١٩٧٦، ، ص ١٤٥، والجمل في النحو، منسوب للخليل بن أحمد، تحقيق د/ فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م، ص ٢٥٩، وإعراب القرآن للنحاس، وضع حواشيه وعلق عليه عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ٢٠٠١م، ٥٨/٢، واللامات لأبي الحسين علي بن محمد الهروي، تحقيق يحيى علوان البلداوي، مكتبة الفلاح الكويتية، ط١، ١٩٨٠، ص ٤١.

العلة أي: لأجل بلد ميت([٩٠])، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾([٩١])، وعند أبي حيان لام التبليغ ([٩٢])، والذي يظهر للبحث ــ والله أعلم ــ أن سياق الآيتين مختلف ، وأن الأداتين مستخدمتان استخدامًا دقيقًا جدًّا ، والسياق هو الحكم في ذلك.

إن التعبير بالحرف إلى يترتب عليه وصول الماء فعلاً إلى البلد الميت، بدليل قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ فاطر: ٩، فالبلد الميت في الآية يقابله الأرض المحياة في نفس الآية؛ لكن التعبير باللام ــ وإن كان يحتمل معنى "إلى" كما قال المفسرون والنحاة ــ تظهر فيه العلة بشكل واضح؛ فسقناه لبلد ميت لا يشترط فيه وصول الماء للبلدة ــ وإن كان ليس بممتنع وصول الماء إليها أيضًا ــ ، والذي يمكن أن يرجح ما ذهب إليه البحث : الاختلاف بين قولنا: مشيت إليك، ومشيت لك، فمشيت إليك ــ في سياقها الطبيعي ــ تعني وصلت إليك، بخلاف مشيت لك التي يحتمل فيها الوصول لك، أو لغيرك ــ يعني : مشيت إلى غيرك من أجلك.

وقد اعترض أبو حيان على معنى العلة فيما ذكره الزمخشري، وفرّق بين "سقت لك مالاً، وسقت لأجلك مالاً فإن الأول معناه: أوصلته لك وأبلغتكه، والثاني لا يلزم منه وصول إليه، بل قد يكون الذي وصل له المال غير الذي علل به السوق، ألا ترى إلى صحة قول القائل: لأجل زيد سقت لك مالك"([٩٣])*.

٢ــ ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى

---

٩٠ الكشاف، ٨٤/٢، واللامات، ٤١.

٩١ البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ٣٤٠/٤.

٩٢ البحر المحيط،٧٨/٥.

٩٣ السابق، الجزء والصفحة.

ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ لقمان: ٢٩

وقوله تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ فاطر: ١٣

جاء قوله تعالى في سورة لقمان" كل يجري إلى أجل"متعديًا بـإلى، وفـي سورة غافر" كل يجري لأجل" متعديًا باللام، وليس هناك خلاف بين النحاة في أن " إلى" تكون منتهى لابتداء الغاية(٩٤)في قوله" إلى أجل" ، لكن الخلاف حول الـلام هل تفيد انتهاء الغاية في قوله" يجري لأجل"؟

مذهب الأكثرين من النحـاة الجـواز ، ومن هؤلاء ابن مالك (٩٥) ، وابن

٩٤ انظر: كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٣م، والمقتضب، ٤/ ١٣٩، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط١٦، ١٩٧٩م، ١٧/٣، ومغني اللبيب، ١٥٦/١.

* وفي الآيتين أسرار أخرى تساعد على فهم تنوع الأداتين فيهما، كبدء الأولى بالضمير "هو"، والثانية بالاسم الصريح " الله" ، ومجيء الفعل "يرسل" مضارعًا في الأولى، وماضيًا في الثانية، وغير ذلك من التنوُّعات التي شملت الأداة وغيرها، مما لا يتسع مثل هذا البحث التعريج عليها جميعها، وإنما فقط قصرته على تنوع الأداة فقط.

٩٥ شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ١٧/٣، و شرح التسهيل، المرادي، تحقيق محمد عبيد، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١، ١٩٢٧هـ، ص ٧٠٤.

هشام([٩٦])، وقد عدّ ابن عقيل استعمال اللام في معنى الانتهاء قليلاً([٩٧])، وجاء في البرهان أن اللام تكون بمعنى إلى، بدليل قوله: ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ([٩٨])، وقد تكون المخالفة بين الآيتين من باب التفنن في النظم([٩٩])، وقد اعترض الزمخشري على القول بمجيء اللام بمعنى إلى، وصرح بأن معنى اللام هنا للاختصاص، يقول الزمخشري:" فإن قلت يجري لأجل مسمى، ويجري إلى أجل مسمى: أهو من تعاقب الحرفين؟قلت:كلا، ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن، ولكن المعنيين : أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض؛ لأن قولك: يجري إلى أجل مسمى معناه: يبلغه، وينتهي إليه، وقولك: يجري لأجل مسمى تريد: يجري لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصًّا بإدراك أجل مسمى، ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة، وجري القمر مختص بآخر الشهر، فكلا المعنيين غير ناب به موضعه([١٠٠])، وجعل ابن عاشور معنى اللام في " يجري لأجل ": التعليل، ويضمّن الفعل يجري معنى يناسبه حرف التعليل، ويكون التقدير حينئذٍ: أي جريه المستمر لقصده أجلاً يبلغه([١٠١]).

فانطلاق الزمخشري هنا في التفريق بين دلالة الحرفين من أثر السياق المناسب لكل واحدة، فليس هناك ما يمنع أن يكون الأجل المقصود في سورة غافر

---

٩٦ المغني،١/٤١٧.

٩٧ شرح ابن عقيل، ٣/١٨.

٩٨ البرهان، ٤/٣٤٠.

٩٩ انظر: التحرير والتنوير ١/١١٨.

١٠٠ الكشاف، ٣/٢٣٧.

١٠١ انظر: التحرير والتنوير،٢٢/٢٨١.

هو أجل كل إنسان فهو بالغه لا محالة ومنتهٍ إليه، فجيء بإلى التي تدل على انتهاء بداية الغايات، وأن الأجل المقصود في سورة لقمان هو أجل بقاء هذا العالم الذي نعيش فيه، ويكون الجري بالنسبة للشمس والقمر في الآية جريًا مختصًّا بإدراك الأجل المسمى، وذلك لأن جريان القمر يختص بآخر الشهر، وجريان الشمس يختص بآخر السنة حتى يبلغا يوم القيامة([١٠٢]).

ومع وجاهة الرأي الذي ذهب إليه الزمخشري من محاولة للتفريق بين دلالة الحروف وتحقيق الفروق بين معانيها ــ وهو مسلك جيد في عمومه؛ إذ إن لكل حرف دلالة خاصة به في الاستعمال وتكون مقصورة عليه ــ " إلا أننا لا نستطيع أن ننكر كثرة ورود اللام في مقام معنى الانتهاء كثرة جعلت استعارة حرف التخصيص لمعنى الانتهاء من الكثرة إلى مساويه للحقيقة"([١٠٣]).

وهناك سياق آخر لعله يكون أكثر قبولاً من الذي ذكره الزمخشري ــ من وجهة نظر البحث ــ وهو أن الآية التي وردت في لقمان" إلى أجل مسمى" ورد قبلها قوله تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾لقمان: ٢٨، وورد بعدها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا ﴾ لقمان: ٣٣ ، فقد وقعت الآية " بين آيتين دالتين على غاية ما ينتهي إليه الخلق من بدء وانتهاء فناسب "إلى" هذا السياق، وليس الأمر كذلك في سورة فاطر، إذ ليس فيه ذكر

١٠٢ انظر: الكشاف، ٢٣٧/٣.

١٠٣ انظر: التحرير والتنوير،٢٨١/٢٢.

لابتداء خلق ولا انتهائه فناسب ذلك ذكر اللام([١٠٤])*.

ثالثا: التنوُّع بين ثم والفاء:

١ــ قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾الكهف: ٥٧

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ السجدة:٢٢

فقد عبر في آية الكهف بالفاء " فأعرض" وفي آية السجدة بثم " ثم أعرض" مع اتحاد الآيتين في المكون النحوي واللفظي ــ بخلاف الفاء وثم، ولا شك أن الأداتين تختلفان اختلافًا كبيرًا بداية من الفرق في المعنى بين ثم والفاء، وانتهاءً بالسياق الذي تستخدم فيه كل أداة؛ لتحدد كلٌّ سياق تستأثر فيه لنفسها دون أختها.

وإذا كان معنى الأداتين هنا يشكل دورًا بارزًا في تحديد السياق الذي ترد فيه كل واحدة؛ فإن السياق نفسه يؤدي هذا الدور ، والذي أعنيه من السياق هنا هو تحديد المخاطَبين بهاتين الآيتين، فالمخاطَبون في سورة الكهف خوطبوا وهم على

---

١٠٤ انظر: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان الجمل، دار الكتب العربية الكبرى، ٤٠٩/٣.

* وهناك جانب مهم – لا يمكن إغفاله – وهو سياق بداية الآيتين ، حيث وردت الأولى مبتدأة بقوله تعالى :" ألم ترَ" وهو استفهام منفي ، ناسبه العطف بواو النسق المقتضية للجمع ، فدخل هذا مع ما قبله تحت حكم التنبيه بقوله :" أم ترَ" وحكم التنبيه بالاعتبار منسحب على المجموع للاشتراك في اللفظ والمعنى، فطال الكلام بحسب ما اقتضاه مقصوده فناسب طوله الجر بما يناسبه مما لا يخرج عن معنى اللام الجارة وهو إلى ، فانجر الأجل بها، أما الآية الأخرى فقد بنيت على الإيجاز فناسبه الجر باللام اكتفاء بما يحقق المعنى ويناسب التركيب.انظر : ملاك التأويل ٤٠٣.

قيد الحياة، وقد عرضت عليهم الآيات وذكّروا بها فكانت النتيجة أنهم أعرضوا عنها مباشرة" عقيب ما ذكروا، ونسوا ذنوبهم، وهو بَعْدُ متوقع منهم أن يؤمنوا"([١٠٥]) فناسب الفاء السياق الذي وردت فيه.

أما "ثم" التي تدل بطبيعتها على التراخي – في آية السجدة – فالسياق فيها لأموات الكفار بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ السجدة: ١٢ ، ومعنى ذلك أنهم ذكروا مرة بعد أخرى، وزماناً بعد زمان بآيات ربهم ثم أعرضوا عنها بالموت، فلم يؤمنوا وانقطع رجاء إيمانهم([١٠٦]).

وتضيف " ثم" دلالة أخرى ليست في الفاء، وهي الإنكار على هؤلاء ضلالهم وغيهم، فلا أحد أظلم منهم وقد سمعوا " من آيات الله ما يوجب الإقبال على الإيمان والطاعة فجعلوا الإعراض مكان ذلك، والمجيء بثم للدلالة على استبعاد ذلك، وأنه مما ينبغي ألا يكون ([١٠٧])،ولا تقف دلالة ثم عند هذا الحد؛ بل تضيف شكلاً آخر من أشكال التبكيت؛ إذ الآيات ليست غامضة أو مبهمة وإلا لكان لإعراضهم وجه مقبول، ولكن ما أفادته ثم هنا هو" استبعاد الإعراض عنها مع فرض وضوحها وإرشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلاً، كما في بيت الحماسة:

---

١٠٥ بصائر ذوي التمييز ،٣٠١/١.

١٠٦ السابق والصفحة.

١٠٧ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٨٣هـ، ٢٥٤/٤.

ولا يكشف الغماء إلا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها([108])

٢ــ ومن نماذج التنوُّع بين ثم والفاء قوله تعالى:﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ الأنعام: ١١.

وقوله تعالى:﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ النمل:٦٩.

فاختلف حرف العطف في الآيتين، ففي سورة الأنعام جاء العطف بثم " ثم انظروا"، ومع آية النمل جاء العطف بالفاء([109])، وقد ذكر الزمخشري أن عطف جملة" ثم انظروا" على جملة"سيروا"؛ لأنه جعل النظر مسببًا عن السير في قوله "فانظروا"، فكأنه قال: سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين، وهنا معناه : إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح"([110])

ويفهم من هذا أن السير لأجل النظر ليس موجودًا في الآية الأخرى فجاء العطف بالفاء على اختلاف معناها كما سيأتي إن شاء الله.

---

١٠٨ انظر: تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م، ٢٣٦/٢، وتفسير أبي السعود، ٨٦/٧، والبيت من الطويل، وهو لجعفر بن عُلبة الحارثي، انظر: الحماسة البصرية، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، تحقيق وشرح د/عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٩٩م، ١٤٣/١.

١٠٩ لم يرد العطف في القرآن الكريم في مثل هذا المعنى إلا بالفاء؛ كآية سورة النمل التي معنا، وقوله تعالى:﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾العنكبوت: ٢٠، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ الروم: ٤٢.

١١٠ انظر: الكشاف، ٧/٢، وتفسير البيضاوي ، ٢٩٤/١، وتفسير النسفي،٣٥٦/١.

وقد اعترض أبو حيان والسمين الحلبي على الزمخشري فيما ذهب إليه، وعللا ذلك بانه " متناقض لأنه جعل النظر متسببًا عن السير، فكان السبر سببًا للنظر ثم قال: فكأنما قيل: سيروا لأجل النظر فجعل السير معلولاً بالنظر، فالنظر سبب له فتناقضا"([١١١]).

وعلق ابن المُنَيِّرُ كذلك على الزمخشري قائلاً على نصه السابق:" وأظهر من هذا التأويل أن يجعل الأمر بالسير في المكانين واحدًا ؛ ليكون ذلك سببًا في النظر، فحيث دخلت الفاء فلإظهار السببية، و حيث دخلت ثم فللتنبيه على أن النظر هو المقصود من السير، وأن السير وسيلة لا غير ، وشتان بين المقصود والوسيلة"([١١٢]).

ومما يؤيد أن السير ــ مع العطف بثم ــ مأمور به على حدة أنه تقدم في نفس السورة " ذكر القرون في قوله:" كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ"، ثم قال:" وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ " فأمروا باستقرار الديار وتأمل الآثار فيقع ذلك في سير بعد سير، وزمان بعد زمان، فخصت بثم الدالة على التراخي بعد الفعلين... ولم يتقدم في سائر السور مثلُها فخصت بالفاء الدالة على التعقيب"([١١٣]).ويدل قوله تعالى:" كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ"، أن الهالكين طوائف كثيرة، ويدل قوله تعالى:" وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ " أن المنشأ بعدهم أيضًا كثيرون فيكون أمرهم بالسير دعاء لهم إلى العلم بذلك

---

١١١ انظر: البحر المحيط، ٤٤٦/٤، والدر المصون، ١٦/٣.

١١٢ حاشية ابن المنير على الكشاف(مطبوع مع الكشاف)، ابن المنير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٧/٢، ٨.

١١٣ انظر: روح المعاني، ٩٧/٤، ٩٨.

فيكون المراد به استقراء البلاد ومنازل أهل الفساد على كثرتها؛ ليروا الآثار في ديار بعد ديار، وهذا مما يحتاج على زمان ومدة طويلة تمنع من التعقيب الذي تقضيه الفاء في الآية الأخرى([114]).

وأما ما أفادته الفاء؛ فهو التعقيب([115]) لخلو الآية من وجود معنى للتراخي المذكور مع ثم، وقد ذكر الزمخشري ، وابن المنير([116]) أن الفاء أفادت هنا السببية، وهذا معنى بعيد جدًّا؛ لأن معنى الفاء هنا "التعقيب فقط"([117])، وهذا الرأي مردود عليهما ولا دليل عليه، وذلك لأن التسبب يكون مفهومًا من مضمون الجملة نحو قولك: ضربت زيدًا فبكى، وزنى ماعز فرجم.

وإذا سلمنا جدلاً بأن الفاء تفيد السببية ؛ فلِمَ كا ن السير هنا سير إباحة، وفي غيره مما جاء بالفاء أيضًا سير واجب([118])؛ فالتعبير ب"ثم" التي تدل على التراخي فيها دلالة على أن السير قد يكون وسيلة من وسائل التفكر المصحوبة بالنظر الدال على التبصر في أحوال الأمم السابقة، ولكن التعبير بالفاء جاء ليدل على أن النظر جاء نتيجة حتمية مترتبة على السير.

---

١١٤ انظر: الدر المصون، ١٦/٣.

١١٥ بصائر ذوي التمييز، ١٩٠/١.

١١٦ انظر: الكشاف، ٧/٢، وحاشية ابن المنير، ٧/٢، ٨.

١١٧ الدر المصون، ١٦/٣.

١١٨ انظر: البحر المحيط، ٤٤٦/٤، والدر المصون،١٦/٣.

الخاتمة

وبعد هذه التطوافة مع السياق البلاغي وتنوع الأدوات في متساوي الأساليب، فهذه بعض النتائج التي تضمنها البحث ، وهي :

ـ ليس هناك أسلوبان متشابهان بغرض تلوين المعنى وتغاير الأسلوب، وإنما يكمن سر التنوُّع للأدوات في الأساليب المتشابهة في إعادة تشكيل معنى آخر جديد، ولا يتشكل هذا المعنى غالبًا إلا بهذا التنوُّع للأداة.

ـ إدراك علمائنا الأجلاء لفكرة السياق واحتفاؤهم بها، واعتبارهم السياق من أعظم القرائن التي تدل على مراد المتكلم، وعده من العلامات الفاصلة التي تزيل اللبس والإشكال.

ـ تجاهل السياق البلاغي والنظر إلى التراكيب اللغوية منعزلة عن سياقاتها يؤدي إلى الخطأ في فهم النصوص، والوقوع في اللبس والإبهام.

ـ تعيين الزمن وعدم تعيينه من الأشياء التي فصلت في تنوع الأداة، كما في قوله تعالى:" فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا " وقوله تعالى:" وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ".

ـ تغاير دلالة الكلمة المفردة الواحدة معجميًّا في تركيبين متشابهين يؤدي إلى تنوع الأداة، كما في قوله تعالى:" ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا "، وقوله تعالى:" ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا "، فالسكنى تكون بمعنى السكن وهي المقام مع طول اللبث والاستقرار، وتكون بمعنى العرض أي: اتخذ هذا الموضع سكنًا.

ـ زمن النزول في الآيات المتشابهة ـ أيضًا ـ يكون من السياقات التي تؤدي إلى تنوع الأدوات كما في قوله تعالى: "ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ

وَكُلَا "، وقوله تعالى:" ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا "، فالتعبير بالواو زمنه وجود لآدم في الجنة، وبالفاء كان زمنه قبل دخول آدم الجنة.

ـ أدى السياق البلاغي دورًا مهمًّا في تنوع حروف النفي وتعدد دلالة هذا النفي في كل موضع، كما في قوله تعالى:" وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ" وقوله تعالى:" وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ".

ـ وأخيرًا تغيير أحوال المخاطَب من حال إلى أخرى، قد أدى إلى تغيير الأدوات النحوية المنسجمة مع كل حال، كم في قوله تعالى:" فَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَآ " وقوله تعالى:" وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ".

المراجع والمصادر

ـ الإبانة عن أصول الديانة، الأشعري، مكتبة المعارف، المغرب، الرباط، المكتب الثقافي السعودي، ١٤١٩هـ.

ـ الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٧م.

ـ أحكام القرآن للجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ـ أسرار التكرار في القرآن الكريم، تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ط٣، ١٣٩٨هـ.

ـ إعجاز القرآن، الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٣.

ـ إعراب القرآن للنحاس، وضع حواشيه وعلق عليه عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ٢٠٠١م.

ـ أمالي المرتضي (غرر الفوائد ودرر القلائد) للشريف المرتضى علي بن الحسين العلوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٣ هـ

ـ البحر المحيط، في التفسير، أبوحيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢م.

ـ البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢.

ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

ـ البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢،١٩٦٨م.

ـ تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

ـ تفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤م.

ـ تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن، ضبطه وصححه عبدالسلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

ـ تفسير السراج المنير، الخطيب الشربيني، خرج أحاديثه وعلق عليه أحمد عزو الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

ـ تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، وضع حواشيه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

ـ تفسير النسفي المسمى: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

ـ تهذيب اللغة ، الأزهري، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م.

ـ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق د/ عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

ـ الجمل في النحو، منسوب للخليل بن أحمد، تحقيق د/ فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م.

ـ الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق طه محسن، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ١٩٧٦.

ـ حاشية ابن المنير على الكشاف (مطبوع مع الكشاف)، ابن المنير، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ـ الحماسة البصرية، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، تحقيق وشرح د/ عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٩٩م.

ـ الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢.

ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق علي معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

ـــ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث ، القاهرة، القسم الأول، الجزء الثاني.

ـــ دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية، التراكيب النحوية والتداولية، علم النحو وعلم المعاني، د/ عبد الحميد السيد، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٤هـ.

ـــ دلالة السياق، د/ ردة الله بن ردة الطلحي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٣٢هـ.

ـــ دور الكلمة في اللغة، تأليف ستيفن أولمان، ترجمه وقد له وعلق عليه د/ كمال محمد بشر،مكتبة الشباب، ١٩٨٧م.

ـــ الرسالة الشافية في الإعجاز ضمن كتاب دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط٣، ١٩٩٢م.

ـــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ضبطه وصححه علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

ـــ السياق وأثره في دلالة الألفاظ دراسة أصولية ، د/ عبد المجيد محمد السوسوه، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، عدد ٧٤رمضان، ١٤٢٩هـ، سبتمبر ٢٠٠٨م.

ـــ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط١٦، ١٩٧٩م.

ـــ شرح الأنموذج في النحو للعلامة الزمخشري، بشرح الأردبيلي، تحقيق د/ حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة.

ـــ شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

ـــ شرح التسهيل، المرادي، تحقيق محمد عبيد، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١، ١٩٢٧هـ.

ـــ شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب، ط١، ١٩٧٣.

ـــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق د/ إميل يعقوب، ود/ محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

ـــ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٨٣هـ.

ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان الجمل، دار الكتب العربية الكبرى،.ط، ٣.

ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط١٦.

ـ كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٣م.

ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ـ الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه د/عدنان درويش، ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢م.

ـ اللامات لأبي الحسين علي بن محمد الهروي، تحقيق يحيى علوان البلداوي، مكتبة الفلاح الكويتية، ط١، ١٩٨٠.

ـ اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق وتعليق عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

ـ اللغة العربية معناها ومبناها، د/ تمام حسان، عالم الكتب، ط٤، ١٤٢٥ هـ.

ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي، دار عالم الكتب، الرياض.

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، المغرب، ١٩٩٢م.

ـ المعالم في أصول الفقه، الرازي، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار عالم المعرفة، القاهرة، ١٤١٤هـ.

ـ معاني القرآن للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور، ط١، ١٩٥٥م.

ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

– المفصّل في علم العربية، للزمخشري، دار الجيل، بيروت، لبنان.

ـ المقتضب لأبي العباس المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب، بيروت.

ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، الغرناطي ، وضع حواشيه عبد الغني الفاسي، دار الكتب العلمية ، بيروت.

— من أسرار التعبير في القرآن، د/ عبد الفتاح لاشين، شركة مكتبات عكاظ، السعودية، ط٣، ١٤٠١ه.

— منهج السياق في فهم النص، د. عبد الرحمن بودرع، كتاب الأمة، العدد١١١، المحرم، ١٤٢٧هـ، قطر،ط١.

— النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د/ محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ط٢.